تسع سنوات على «الأخبار»
فلنواصل معاً!

بيار أبي صعب

ليس من السهل أن يَعُدّ المرء سنواته، فكيف بالأحرى إذا كان الأمر يتعلّق بعمر جريدة يوميّة؟ وفي هذه المرحلة؟ وفي هذا البلد؟ كل سنة من عمر «الأخبار» التي أطفأت أمس شمعتها التاسعة، تساوي دهراً من العوائق والتحديات والمصاعب، والنقاشات المضنية، والأسئلة المعلّقة. عند كل مفترق طرق، نسأل أنفسنا كيف وصلنا إلى هنا، وكيف يمكن أن نستمرّ؟ وهل سننجح في مواصلة الطريق، بالنوعيّة نفسها التي أخذناها على عاتقنا منذ البداية، رغم هيمنة الإسفاف حولنا، وفقدان المعايير، وغطرسة خرتيت المال الخليجي، ومشاريع الدعوشة، وسموم المنظمات الغربية غير الحكوميّة التي تستدرج نخبنا إلى استلاب وطني وسياسي، وغيبوبة «مدنيّة» مطمَئِنّة؟ كيف نوصل خطابنا البديل الى الرأي العام المحاصر، في ظل التضليل الإعلامي الهائل، وتمكّن الانتهازيين والمرتزقة، وتفشّي العصبيّات، وطغيان الأهواء والغرائز، وتزايد البؤس والتطرّف، وتراجع القراءة، وانحسار الهامش العقلاني في الحياة العامة؟

كل سنة، ونحن نجدد العهد لقرّائنا، نسأل كيف تمكنّا حتى الآن من رفع التحدّي، في جمهوريّة الطوائف والمحسوبيات والفساد؟ نسأل: كيف عسانا نشْبه أنفسنا أكثر مستقبلاً، ونبقى أوفياء للمبادئ التأسيسيّة وسط الرمال المتحرّكة؟ كيف نستأنف النضال ضدّ الانحطاط المهيمن الذي يشدّ بنا إلى الخلف؟ كيف نحقق بعضاً من طموحاتنا: في ممارسة النقد، في التجاوز والتجديد والابتكار، في دفع عجلة التغيير والعدالة والتقدّم؟ كيف نوفق بين مشروعنا المهني من جهة، ثم خيارنا الديموقراطي العلماني من الجهة الأخرى، وبين انحيازنا الحاسم ـ في هذه المعركة المصيريّة التي تشهدها المنطقة ـ ضدّ العدو الصهيوني، ومسخ التكفير الذي أنتجته الرجعيات العربية، ووحش الاستعمار الذي لا يشبع من استباحة دمائنا وثرواتنا وحقوقنا؟ كيف نحصّن أنفسنا ضد طاعون المذهبيّة الذي يستعمله الاستعمار لتمزيقنا، كما ذكّر السيد حسن نصرالله أمس في خطاب وادي الحجير؟

كل سنة نولد من جديد. نستعيد طموحاتنا الأصليّة: أن نصغي إلى مجمل وجهات النظر، ونراهن على الاختلاف، ونقسو على خصومنا من دون تخوين، ونجاهر بخياراتنا من دون تعصّب وإلغاء للآخر، في منطقة لا مكان فيها لترف الحياد. أن نفضح الآفات من دون شعبويّة، وننتقد ذاتنا من دون جلدها، ونحرك المبضع في الجرح الجماعي بلا ساديّة، ونرفع قبعتنا حين يلزم الأمر لـ«قيادات بمستوى الوطن» (بتعبير السيد حسن)، من دون ممالأة، أو استزلام، أو طمع بمكاسب ذاتيّة... أن نتعامل مع النظام الطائفي، من دون أن نتبنى وعياً طائفيّاً. أن نكون صوت الفقراء والمهمّشين والمستضعفين، والمواطنين المنسيين والأفراد المستقلّين، ونصمد في الوقت نفسه، في أدغال السوق المحكومة بسفاح القربى بين السياسة والبزنس، الخاضعة للإقطاع الطفيلي، وبارونات المال، ومافيات الاقتصاد الريعي. والأهم دائماً: ألا نضيّع، حتّى في أحلك الظروف، بوصلة فلسطين... هذا هو رهان «الأخبار» الصعب،

> **لدينا موهبة ـ لم نبحث عنها، لكنّنا لا نتبرّأ منها ـ في إنتاج «الخصوم»**

والعقد الذي تجدده اليوم مع نفسها ومع القرّاء.

إذا كان من مكان للبوح والمكاشفة في هذا اليوم، فاعلموا أن كل سنة من عمر جريدتنا انتصار على الذات، وعلى الظلام المحيط، وعلى الانهيار المحدّق. وكل سنة تمرّ بسلام، تؤكد لنا أكثر حاجة الإعلام العربي إلى تجارب مشابهة لـ«الأخبار» في هذا الزمن المغشوش، في هذا المستنقع العظيم، حيث تنتحل الديكتاتوريّة صفة الحريّة، وتلبس الهمجيّة قناع الدين، والردّة قناع الثورة، وترفع التبعيّة شعارات السيادة والوطنيّة، والعملاء راية القوميّة والعروبة... وحيث يتحوّل (بعض) المجتمع المدني نادياً لشهود الزور... وتؤنسن «التقدميّة» القاتل الإسرائيلي السبارطي، ويدافع السفير السعودي عن حريّة التعبير، ويدعو ملوك الطوائف إلى إلغاء الطائفيّة السياسيّة، والانعزاليّون إلى الانفتاح على الآخر، والليبراليّون إلى العدالة الاجتماعيّة... وماذا بعد؟

اليوم، نعرف أكثر من أي وقت مضى أننا غير معفيين من خوض الرهانات الصعبة، مهما كانت معقّدة وإشكاليّة. ندخل عامنا العاشر، ونحن نمشي على الحبل المشدود إيّاه، بثقة، فوق أنظار المراهنين على موتنا. نعرف أن علينا التعايش النقدي والذكي والنزيه مع التناقضات التي يفرضها واقعنا الشائك. ربّما لم يشهد تاريخ الإعلام العربي الحديث حالة مثل «الأخبار». جريدة عشّاقها بعدد كارهيها، وكارهوها يخفون انبهاراً سريّاً بها، ومعسكر منتقديها يضمّ الأصدقاء قبل الخصوم... كل ذلك من دون ذكر الطفيليين الذين يعتاشون كالعلق على التجريح بنا، واستنساخ تجربتنا، إنما بلا روح وبلا أفق فكري.

صحيح أن لدينا موهبة ـ لم نبحث عنها، لكنّنا لا نتبرّأ منها ـ في إنتاج «الخصوم»، لصداميتنا وجرأتنا وحاجتنا الوجوديّة إلى كشف المسكوت عنه وإزعاج الضمائر الخانعة. ربّما تسرّعنا أحياناً، أو تمادينا في نزعتنا الصداميّة أحياناً أخرى. ربّما ارتكبنا المبالغات التي يسمّيها بعضنا هفوات. نحن أوّل من يعترف بالأمر، واجتماعات التحرير الصاخبة شاهدة على ذلك. لنعترف بأنّه ليس من السهولة في شيء احتواء الغضب، أمام مشهد المجزرة، مجازيّة كانت أو حقيقيّة. لكنّ القاعدة تبقى ضبط النفس، والدفاع عن النقاش الهادئ على طريقة جوزف سماحة. والهدوء لا يمنع القسوة، ولا يعني التسوويّة والمهادنة طبعاً. أما الرقابة الحقيقية والوحيدة التي نعترف بها، فقد كانت وستبقى رقابتكم، ومحاسبتكم لنا. لكن لا تنسوا أن جريدة تحمل كل هذه الطموحات، والخيارات المتناقضة ظاهريّاً، لا يمكنها أن تعزل نفسها في برج عاجي، وتمتنع عن التفاعل مع الواقع بوحوله وحقائقه الفجّة. المهمّ ألا يغلبنا الراهن البائس، وأن نبقى نمتلك مسافة نقديّة، وقيماً بديلة للارتقاء به وتغييره. ليس بإمكان القبطان أن يغيّر اتجاه الريح، لكن مهارته تقتضي أن يتحكّم بكيفية توجيه أشرعته. نعم، نحن جميعاً في قلب العاصفة، ولهذا السبب على الأقلّ لا بأس من وجود «الأخبار». فكم من وجهٍ غاب، وكم قناع سقط، وكم فكرة تاهت، وكم وهم تبدد... لكن أيضاً: كم حلماً سيبقى؟ الطريق طويلة وشائكة، فلنواصل معاً!

عون: إما التجاوب مع مطالبي.. أو التسونامي

يريدون تقسيم سوريا، مؤكداً أن «قتال الحزب في سوريا من أجل منع تقسيمها، والجيش السوري يقاتل في حلب وحماه ودمشق ودرعا والحسكة ودير الزور وإدلب منعاً للتقسيم».

وحول اليمن، جدد إدانة العدوان الأميركي ـ السعودي، مؤكداً أنه «قد تسقط مدينة في اليمن، ولكن ما دامت هناك إرادة ورغبة في العيش بكرامة ورفض للاحتلال، فلا يمكن للعدوان أن ينتصر».

لا يمكن كسر عون

وفي الوضع الداخلي اللبناني، دعا نصرالله إلى أن «ينتهي التفكير على أساس الطائفة ـ القائدة، إذ لا طائفة يمكنها القيام بهذا الدور، فهذه العقلية يجب أن تخرج من العقول، وإلا استمررنا في الأزمات»، مضيفاً إن «اللبنانيين اليوم متساوون في الخوف والغبن، ولا حل إلا بالدولة لأنها الضمانة الحقيقية. ولذا، لا يمكننا إلا أن نكون دولة شراكة حقيقية تعطي الثقة للجميع، وليس فدرالية أو أي شكل آخر، إذ إن الدولة لا تطعن ولا تغدر ولا تستبعد ولا تهين أي طرف».

وتابع إن «لبنان يواجه أزمات حقيقية في ظل غياب رئيس للجمهورية وحكومة تجتمع ولا تقرر»، داعياً إلى «إيجاد الحلول لكل أزماتنا، فهناك شريحة كبرى من المسيحيين تشعر بالعزل والاستبعاد والغبن، وصولاً إلى حديث البعض عن كسر وعزل العماد ميشال عون».

وجدد نصرالله دعوته قوى 14 آذار إلى «الحوار مع عون، بدلاً من الاستفزاز»، رافضاً «كسر أو عزل أي حليف لنا، وخصوصاً أولئك الذين وقفوا معنا في حرب تموز ووضعوا مصيرهم مع مصيرنا».

وخاطب القوى السياسية في لبنان، قائلاً: «هذا الموضوع أخلاقي وليس سياسياً فقط تجاه حلفائنا. لا يمكنكم أن تكسروا العماد ميشال عون أو تعزلوه، وهو ممر إلزامي لانتخابات الرئاسة، ونحن ملتزمون هذا الموقف». وردّ على «المراهنين على أن ايران يمكن أن تضغط على حلفائها في لبنان، قائلاً إن «من يقتنع بذلك واهم»، متطرقاً إلى زيارة وزير الخارجية الإيراني لبيروت قبل أيام.

وتوجّه السيد نصرالله إلى «من يستكبر ويفكر بالكسر والعزل»، سائلاً إياهم عن «الضمانات بأن يبقى الشارع للتيار الوطني الحر وحده، ألا يوجد حلفاء له؟»، مؤكّداً «وقوف حزب الله إلى جانب حلفائه»، وأن «الخيارات مفتوحة».

وأضاف إن حزب الله «لن يغض النظر عن الداخل اللبناني، رغم مشاغلنا في الجنوب وسوريا»، جازماً بأن «الحوار هو الطريق الموصل إلى الشراكة، فالشراكة توصل إلى بناء الدولة، ونحن نحتاج إلى مبادرات».

وختم كلامه بتوجيه «نداء إلى القيادات المسيحية الوطنية في لبنان»، دعاها فيه إلى «إعادة النظر في إعادة فتح المجلس النيابي من أجل معالجة قضايا اللبنانيين وفتح الحوار وإيجاد حل من أجل لبنان».

بعد ساعات قليلة على خطاب «مهرجان النصر» الذي ألقاه الأمين العام لحزب الله، الذي أكد فيه أن «الحزب لن يقبل بكسر التيار الوطني الحر أو عزله»، أطلّ رئيس تكتّل «التغيير والإصلاح» العماد ميشال عون في مقابلة تلفزيونية على قناة «المنار»، بدأ فيها الحديث عن حرب تموز التي «أعطتنا العزّة، وبعض الحزن لأننا فقدنا شباباً دافعوا عن الوطن». واعتبر خلال حديثه أن «من الطبيعي أن نشكر سوريا وإيران ونمدّ أيدينا لهما بسبب موقفهما في الحرب». وقد ظهرت معالم التأثر جلية على محيا عون الذي علّق على ما قاله السيد نصرالله بالقول إنه «قيادي استثنائي ورجل قرار في الوقت الحاسم، وهو سيد نفسه وسيد قراره، ودائماً عندما أتحدث عنه أكون مقصراً». وأضاف «كنت دائماً والسيد نصرالله على توافق بالأفكار، لديّ ثقة به وهو لديه ثقة بي ونحن مرتبطان بكلمة شرف ولم نوقّع على التفاهم».

وأشار إلى أن «كلام السيد نصرالله عن عدم القبول بعزلي ردّ على من يقول إن حلفائي تخلوا عني».

وأعاد عون تأكيد مطالبه، قائلاً إنه «واثق من الانتصار في المعركة التي نخوضها». وأضاف «لو كنت أريد اعتماد البراغماتية الحيوانية لكنت وافقت على كل شيء، والواقعية لا تعني القبول بالواقع في حال كان سيئاً». وأضاف «مطالبي باتت واضحة، وقبولنا بالأشياء الشاذة لا يمكن أن يستمر»، مشيراً إلى أن هناك «تسونامي مقبلة في حال عدم التجاوب مع مطالبي، وتيار المستقبل هو الذي يدفعني إلى التطرف لا العكس». وأكد أن «ظاهرة ساحة الشهداء جاءت أكثر من التوقعات، وإذا استمر الاستفزاز فلكل حادث حديث».

وعن تحذيره قائد الجيش من وضع المؤسسة العسكرية في مواجهة المتظاهرين، فكان «بسبب ما حصل في التظاهرة السابقة». وبالنسبة إلى رفع شعارات استفزازية ضد تيار المستقبل تصفه بالدولة الإسلامية، قال «أنا غير مسؤول عن كل خطايا العالم». واعتبر أن «القوى المسيحية الأخرى حرة في مواقفها ولا ألزمها بأي موقف».

وقال عون: «لم يشرح لي أحد ضرورات التمديد للقادة الأمنيين، وهناك الكثير من الضباط القادرين على تولي القيادة»، أما «ما يُقال عن عدم وجود توافق على اسم قائد جيش مصطنع، وقلنا لهم اطرحوا أفضل 5 أسماء من أجل الاختيار منهم». وعن الانتخابات الرئاسية، أشار إلى أنه «لا يمكن أن يأتي بعد اليوم رئيس جمهورية لا يمثل الماكون الذي يمثله»، مضيفاً: «الكل يدعو إلى انتخاب رئيس جمهورية، فليأتوا لنتحدث في الموضوع. لماذا يعارضون انتخابي، هل لأنني أحارب الفساد؟».

ورأى أنه «طالما أنا الممر الإلزامي لانتخابات الرئاسة فليتفضلوا إلى الحوار معي». وأضاف «لا أعلم إن كان الفيتو السعودي على اسمي لا يزال قائماً، ولست مطلعاً عما إذا كان لدى وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف أي أجواء رئاسية جديدة. فبعد الاتفاق النووي الإيراني، هناك الكثير من الأمور الأهم من الأوضاع اللبنانية».

ورأى أن «الاشتباك الإقليمي هو تبرير لضرب الزعرنة الذي يقومون به معي، ولا أعتقد أن تأجيل تسريح القادة الأمنيين صناعة خارجية، بل حصل بسبب مصالح فئوية دفعت إلى أخذ هذا القرار». وعلّق عون على كلام وزير الداخلية نهاد المشنوق عن «تدخل دول صغرى وكبرى في قرار تأجيل تسريح القادة الأمنيين»، معتبراً أنه «يصغّر الوزير في عيوننا». وأكد أنه «لا يوجد أي سفير في لبنان قال لي إن دولته تتدخل في الشؤون اللبنانية، فلماذا يقولون لي ذلك؟».

وعن العلاقة مع رئيس المجلس النيابي نبيه بري، أكد أنها «ليست مهدمة كي تحتاج إلى ترميم، والنوايا مع رئيس الهيئة التنفيذية في القوات اللبنانية سمير جعجع لا تزال سليمة».